

أدب الصحراء

مقاربة في المفهوم والخصائص والنشأة

Desert Literature: An Approach to Concept, Characteristics, and Origin

محمد زرمان*

جامعة باتنة 1

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

mohamed.zermane@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2025-06-01

تاريخ الإرسال: 2025-03-13

ملخص:

أدب الصحراء مصطلح حديث ظهر إلى الوجود منذ وقت قريب ليعبر عن اتجاه جديد في الشعر والنثر الأدبي، والذي تحولت فيه الصحراء إلى فضاء للسرد ومتخيل روائي، فهو أدب يحمل ملامح عربية خالصة ويمتلك خصوصية الهوية؛ لذلك فهو مختلف في كل شيء لما توفره عوالم الصحراء من أجواء أسطورية وغرائبية تمتع من الواقع السحري غير المعروف في الغالب، حيث تنبثق الشخصيات من آفاق ضبابية وكأنها بلا ماض فتتخبط في حركة صراع حول المفاهيم والقيم والتطلعات والانتماءات والتملك والهوية والرغبات والمتع الذاتية.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن جملة من التساؤلات من أبرزها: ماذا نقصد بأدب الصحراء أو الأدب الصحراوي؟ وما هي أبرز مميزاته وسماته؟ كيف نشأ وترعرع في الأدب العربي، وماهي المراحل التي مر بها؟ وماهي هي أهم الأشكال الأدبية التي تظهر فيها؟ وماهي أبرز موضوعاته وقضاياها؟ ومن هم أشهر أعلامه قديما وحديثا؟ وهل استطاع الشعر قديما والرواية حديثا أن يمثل هذا الأدب تمثيلا أصيلا؟

الكلمات المفتاحية: أدب الصحراء؛ الأدب الصحراوي؛ الكتابة الصحراوية؛ رواية الصحراء؛ الفضاء الصحراوي.

Abstract:

"Desert literature" is a modern term that has recently emerged to describe a new direction in poetry and literary prose, where the desert transforms into a space for narration and an imaginative setting for storytelling. This literature carries distinctly Arab characteristics and possesses a unique identity, making it fundamentally different in many ways. The desert's world offers mythical and fantastical

*-المؤلف المراسل.

atmospheres, drawing from an often-unknown magical reality, where characters emerge from hazy horizons as if without a past, engaging in conflicts over concepts, values, aspirations, affiliations, ownership, identity, desires, and personal pleasures.

This study seeks to answer several key questions, including: What do we mean by desert literature? What are its most prominent features and characteristics? How did it originate and evolve within Arabic literature, and what stages has it gone through? What are the main literary forms in which it has manifested? What are its central themes and issues? Who are its most notable figures, both past and present? And has ancient poetry and modern novel-writing been able to authentically represent this literary genre?

Keywords: Desert literature; Saharan literature; Saharan writing; Desert novel; Desert space.

مقدمة:

على الرغم من أن الصحراء في المعاجم العربية لا تعدو أن تكون الفضاء الواسع الأجرد الذي لا نبات فيه ولا ماء، وهي عند أغلب الناس الأرض القاحلة الجداء ذات الحرارة المرتفعة والزواحف السامة، إلا أنها في مخيال الأدباء والشعراء عالم جميل يفيض بالطهر والنقاء والأمان والرغبة والغموض والصمت، ومصدر ثري من مصادر الإلهام والإبداع، ومataها لا حدود لها لتخصيب الحواس ودفع النفس نحو الحرية والانفلات، ومن هذه العلاقة الخاصة بين الصحراء والإنسان المبدع نشأ أدب الصحراء الذي انفتح في عصرنا الحاضر على جميع الأجناس الأدبية من شعر، ورواية، وقصة، ورحلة، ومذكرات شخصية، وسير ذاتية وغيرها. وعليه، فإن أدب الصحراء هو ذلك الأدب الذي يهتم بتصوير البيئة الصحراوية في كل تجلياتها عبر الأشكال الأدبية المختلفة.

وبعد الشعر الجاهلي من بواكير هذا الأدب الذي لا يزال يأسرنا ببلاغته العالية، ولغته القوية مع دقة التصوير وجودة البيان، وانسجام الشعراء فيه انسجاما خرافيا مع الطبيعة الصحراوية بكل مظاهرها وأسرارها، وانصهارهم فيها بكل كيانه. وفي عصرنا الحديث اقتحم الشعراء والأدباء مجاهل الصحراء، وتجاوزوا صورتها النمطية التي توحى بالتيه والخوف، وأصبحت فضاءً روائيا ساحرا، وقد تألق في هذا المجال كوكبة من الروائيين خاصة منهم عبد الرحمن منيف وإبراهيم الكوني وأحمد أبو دهمان وغيرهم، حيث أصبحت الصحراء تمثل عندهم مرادفا للهوية، وتحيل إلى تمرد الرواية العربية على المركزية الأوروبية، وانغماسها في التاريخ والجغرافيا الصحراوية العميقة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن جملة من التساؤلات من أبرزها: ماذا نعني بأدب الصحراء؟ ما هي سماته وخصائصه؟ كيف نشأ وترعرع في الأدب العربي وماهي هي أبرز

الأشكال والفنون الأدبية التي تظهر فيها؟ وما هي أبرز ثيماته؟ ومن هم أشهر أعلامه قديما وحديثا؟ وما هي أهم جمالياته وفنياته؟ وهل استطاع الشعر قديما والرواية حديثا أن يمثلوا هذا الأدب تمثيلا أصيلا؟

وتطمح هذه الورقة البحثية إلى الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال تحديد طبيعة أدب الصحراء مفهوما ومصطلحا ونشأة وتطورا، وبيان خصائصه ومميزاته، واستجلاء أهم ثيماته وموضوعاته، والوقوف عند بعض رموزه قديما وحديثا، ورصد بعض جمالياته وفنياته.

المبحث الأول: أدب الصحراء مقارنة في المفهوم والمصطلح

أدب الصحراء مصطلح حديث ظهر إلى الوجود منذ وقت قريب ليعبر عن اتجاه جديد في الشعر والنثر الأدبي، والذي تحولت فيه الصحراء إلى فضاء للسرد ومتخيل روائي، وموطن للسحر والإلهام، ورمز للانعتاق والتحرر، وإثبات الذات والاعتزاز بالهوية القومية باعتبارها فضاء شاسعا بلا حدود، يشجع على الإبداع ويلهب الخيال ويجمع به في آفاق بعيدة. فهو أدب يحمل ملامح عربية خالصة ويمتلك خصوصية الهوية؛ لذلك فهو مختلف في كل شيء: "لما توفره عوالم الصحراء من أجواء أسطورية وغرائبية تمتح من الواقع السحري غير المعروف في الغالب، حيث تنبثق الشخصيات من آفاق ضبابية، وكأنها بلا ماض فتتخبط في حركة صراع حول المفاهيم والقيم والتطلعات والانتماءات والتملك والهوية والرغبات والمتع الذاتية، وقبل كل شيء مواصلة البحث عن مصير مجهول في فضاء الصحراء الواسع الذي يمتاز بالشمس الحارقة وبالامتداد اللانهائي والخوف، حيث يبرز صراع الإنسان من أجل البقاء"¹

وقد تعددت تعريفاته، لكنها لم تختلف كثيرا عن بعضها، ومنها تعريف محمد سالم الشرقاوي الذي يرى أن: "أدب الصحراء هو تصنيف إجرائي لأعمال شعرية ومتون سرديّة،

¹. حميد عبد القادر. حضور الصحراء في الرواية الجزائرية، الاحتفاء بالإنسان على ذرات الرمل.

نسجت عوالمها في بيئة صحراوية ضمن تراكم معرفي جامع، ينضبط بحسب معايير البناء الأدبي والفني والجمالي¹.

أما الأديب المغربي مصطفى لغتيري فيذهب إلى أن أدب الصحراء: "هو مجموعة النصوص الأدبية التي اتخذت من الصحراء موضوعاً لها، من خلال جعلها فضاءً للمتون السردية مثلاً، أو باستثمار مكوناتها الطبيعية أو العلاقات الاجتماعية التي تنتج عن استقرار السكان فيها، وحتى في حالات ترحالهم التي كانت صفة مميزة للصحراء إلى زمن قريب²."

ويعرفه محمود عبد المجيد بأنه: "ذلك اللون الأدبي الذي يتخذ الصحراء، بما تحمله من رمزية واتساع مكاني محوراً أساسياً لنسج نصوصه الإبداعية"³

وتؤكد بعض التعريفات على أنه: "نوع جديد من الأدب يستلهم بيئة الصحراء وثقافتها، ويعبر عن خصوصياتها الجغرافية والاجتماعية والروحية"⁴. ويسبر أغوار البيئة الصحراوية باختلاف مشاربها وتنوع منابعها، فضلاً عن ثراء الطقوس والعادات التي تميز أهل الصحراء في الزواج والطلاق والأعياد والألعاب وباقي مناحي الحياة اليومية، فهو بذلك يتخذ من القبيلة وأعرافها وأنساقها الاجتماعية عالماً يستلهم منه الإبداع.

ويذهب حسن المؤذن إلى أن مصطلح (كتابة الصحراء) أبلغ تعبيراً عن هذا الاتجاه الجديد في الأدب العربي من مصطلح (أدب الصحراء): "لأسباب أساسية منها أن العبارة الأولى أوسع وأشمل، تشمل المعنى المادي للكتابة، وتشمل أدب الصحراء الشفوي، وهي

1. حسن الأشرف. "أدب الصحراء يلامس آمال وآلام المجتمع البيضاني في المغرب".

[/https://www.independentarabia.com/node/405231](https://www.independentarabia.com/node/405231)

2. المرجع نفسه

3. محمود عبد المجيد. "الرمز والفضاء في أدب الصحراء". مجلة الفكر العربي. ع 56. 2010. ص 88-92.

4. المرجع نفسه، ع 56. 2010. ص 88-92.

قابلية لضمّ كل أشكال الكتابة القديمة والحديثة، المنتمية لأجناس الأدب المعروفة وأيضاً لأشكال جديدة تقع خارج هذه الأجناس"¹

وإذا كانت الصحراء في الأدب العربي القديم حاضرة بقوة في الشعر أكثر منها في النثر، فإن الأمرقد اختلف في العصر الحديث، حيث شهد أدب الصحراء تحولاً نحو الرواية التي تتناول الحياة الصحراوية من منظور اجتماعي وفكري. وعلى هذا الأساس: "تشكلت تجارب أدبية عربية وعالمية رائدة، خلدت الصحراء كفضاء يجمع الندرة والوفرة، والقسوة والحنو، والجلال والجمال، وتميزت بمعالجتها لهذه الثنائيات، باقتدار وحرفية، في تواتر الأحداث وحركة الشخص" ².

وإنما نالت الرواية الحظ الأوفر من هذا الأدب لأنها تعدّ "من أهم الفنون الأدبية في عصرنا الحالي، وأبرزها التحاما بالواقع الإنساني المعيش، فكانت بذلك الوعاء الذي يستوعب هموم الناس كافة بنوع من المهارة القائمة على التخيل مما أكسبها قيمة جمالية تميّزها عن غيرها"³. والأعمال الأدبية في هذا المضمار نوعان: أحدهما ينشغل بعالم وأساطير الصحراء كمساحة جغرافية منعزلة وغامضة، وآخر ينشغل بالإنسان الصحراوي أو البدوي، وقيمه وأخلاقه ونواميسه وأساطيره.

وقد استمد هذا المصطلح معناه من طبيعة الموضوعات التي يعالجها، والتي تتخذ من الصحراء بكل ما تحتويه من طبيعة وإنسان وحيوان وجماد ومناخ فضاء ممتدا بلا حدود، يغري بالإبداع، ويجمع بالخيال بعيداً، إضافة إلى التجمعات السكانية التي تعكس تفاعل الإنسان الصحراوي مع الصحراء منذ أزمان موعلة في القدم، وما أسفر عنه من مكونات روحية وثقافية مليئة بالغرابة والعجائبية، ومن قيم استمدتها من حياة البداوة التي زرعت فيه مفاهيم الشرف والوفاء، ورسخت فيه خصال الكرم والشجاعة والنجدة،

¹ هدى أبو غنيمة. تجليات الصحراء في أعمال منيف والكوني.

<https://www.oudnad.net/spip.php?article1788>

² محمود عبد المجيد. "الرمز والفضاء في أدب الصحراء". مجلة الفكر العربي. ع 56. 2010. ص 88-92.

³ أحمد العايب. الصحراء والسرد في الرواية المعاصرة. مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية.

الجزائر، مج 1. ع 2. 2022م. ص 68

فضلاً عن ثراء الطقوس والعادات التي تميز أهل الصحراء في مناحي الحياة اليومية المختلفة: "يعكس الأدب الصحراوي التفاعل المعقد بين الإنسان والصحراء، حيث لا يُنظر إلى الصحراء فقط كمكان جغرافي، بل كمكون ثقافي وروحي. غالباً ما تُصوّر الصحراء على أنها جغرافيا لا نهائية تُجبر الإنسان على التفكير في وجوده، وتُدفعه للبحث عن المعنى في عالم مليء بالفراغات اللامتناهية"¹.

كما استمد مفهوم أدب الصحراء أهميته من جدة موضوعه وطرافته، فقد ظلت الصحراء إلى زمن قريب منطقة معزولة، بعيدة عن حركة العالم التي تموج بالتغيرات والاضطرابات، يُنظر إليها على أنها فضاء للموت والضياع والتلاشي والتهيه، ثم ما لبثت أن تحوّلت إلى مركز اهتمام بالغ عندما لجأ إليها الشعراء والأدباء بعد أن ضاقت بهم المدينة بضجيجها ومفاسدها، وضاحت عليهم أنفسهم من أثقال التبعية الثقافية، فرأى فيها كثير منهم فضاءً أكثر حرية وإنسانية على الرغم مما يسوده من مظاهر الزهد والتقشف، والندرة والقسوة، ولمحوا فيه نموذج الفطرة الإنسانية الأولى، ومصدراً للخلاص والإلهام والإبداع، واكتشفوا أنها نمط حياتي مختلف تماماً عن باقي الأمكنة، وهي بتعبير بعضهم: "المكان الوحيد الذي يستطيع فيه الكائن الحي أن يذهب ليشاهد الأبدية، يذهب ليرى العدم بعينه ثم يعود إلى الوراء وهو ما زال على قيد الحياة"²، لأنها عالم يتحدّى الممكن والعقل والعدم ويتصل بالأبدية.

فكان تغيير: "وتحريك المكان الصحراوي من أبرز السبل وأنجعها وأكثرها جدوى لإخراج المكان من سلبيته المعتادة، ومنحه مقادير أكبر من الدينامية والفعالية، وجعله واحداً من المصادر الرئيسية لصنع الجمال الفني في الرواية، وعاملاً يمنحها الخصوصية والقيمة"³، بعد أن أصبح المبدعون ينظرون إلى الصحراء على أنها فضاء ينبض بالحياة والتجديد في ظل واقع تسكنه المتناقضات بين سلطة الحياة ورهبة الموت، وحيث يستأنس

¹. إبراهيم الكوني. الصحراء المغلقة. دار الآداب. 2006م. ص110

². عبد الصمد زايد. المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة. دار محمد علي للنشر. تونس. ط1.

2003م. ص133

³. صلاح صالح. الرواية العربية والصحراء. ص201

الإنسان بالفراغ، ويركن إلى الهدوء والصمت لأنها تمثل النقاء الذي يرتبط في خيال الإنسان بصفاء الفطرة البشرية.

وكان من نتائج هذا الاهتمام أن أصبح أدب الصحراء: "السجلّ الحافظ لكثير من الأحداث التي جرت في المناطق الصحراوية، وقد أثبتت أنها تحتوي على مدن أثرية منذ مئات السنين، وهذه المدن تخبر عن حضارات وتاريخ الأوائل، وقصصهم ونهياتهم على غرار مدينة تدمر، وبقايا سدّ مأرب، ومدينة الأهمجار وغيرها"¹.

- **القصد:** ف «الحج: القصد. حج إليه فلان أي قدم؛ وحجه يحجه حجا: قصده [...]»
ورجل محجوج أي مقصود [...] والحج: قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضا وسنة؛ تقول: حججت البيت أحجه حجا إذا قصدته وأصله من ذلك.».

المبحث الثاني: أدب الصحراء الخصائص والمميزات:

يشكل الأدب الصحراوي حالة ثقافية تنطوي على خصائص ومميزات مرتبطة بالمجتمع الصحراوي وكيفية تفاعل الإنسان مع بيئته القاسية، ويصور تجارب الأفراد والجماعات في مواجهة الطبيعة التي توحى بالقحط والجذب، والتيه والضياع وارتداد المجهول، عبر رصده لتفاصيل الحياة اليومية، وتسجيل وقائع الطقوس المختلفة الخاصة بكل حالة، والحكايات الشعبية المرتبطة بالمجتمعات الصحراوية. فالنص الصحراوي: "كمعطى حقيقي أنثروبولوجي وسوسيولوجي وتاريخي وإنساني يؤكد على وجود سمات

¹. حميدة قادوم. الصحراء قيمة سردية فاعلة في الرواية العربية المعاصرة. ضمن ندوة علمية حول الصحراء في الرواية العربية المعاصرة. جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. مايو 2024م.

صحراوية ينضج بها المكان، وتتلون بها ثقافة المجتمع، وتعكس تفاعل الإنسان مع الظروف الجغرافية، وتكيف حياته معها وما تنتجه من قيم اجتماعية وإنسانية وتصورات فكرية¹.

ونظرا لخصوصية المكان فإن الأدب الناتج عنه لا بد أن تكون له خصائص ومميزات تميزه عن غيره ومن أهمها:

أولاً: الارتباط بالبيئة الصحراوية

من خصائص أدب الصحراء حضور فضاء الصحراء بقوة في هذه الكتابات، من سحر الرمال إلى شموخ الكثبان، إلى روعة التلال، إلى سكون الأفق ولاتناهيته، مشكّلة فضاءً تضطرب فيه الكائنات في هذا الوسط البكر المغربي بمظاهره الطبيعية الرائعة وطريقة الحياة فيه: "والفضاء الصحراوي له خصوصيته الثقافية والفكرية ولا يحظى بامتلاك رموزه إلا مجموعة من الأدباء والكتّاب الذين هم سليلو تلك المناطق من العالم العربي الذي شكّلت فيه الصحراء جزءاً كبيراً ومهماً من الجغرافيا العامة، إضافة إلى تميزها بتراث ثقافي ورمزي من نوعية خاصة أنها ترفض كل ثقافة جديدة طارئة تحاول التغيير أو تسعى إليه²، وهذا ما يجعل الكتابة عن الصحراء أمراً ليس سهلاً، أو ممكناً حتى، إلا ضمن شروط محدّدة: "تستوعب خصوصيته وتخلق الشروط الضرورية لمثل هذه الكتابة. فليس ذكر الصحراء في النص أو المرور عبرها شيئاً يجعل النص صحراويّاً، وليس كل ضجر لراوٍ ما يعبر الصحراء في سيارته هو معاناة من الصحراء"³.

فكلما كان الشاعر أو الأديب ينتهي إلى هذه البيئة كلما كان إبداعه أصيلاً، وتجربته صادقة، ومشاعره عفوية لا تكلف فيها ولا اصطناع بحيث يرى الصحراء بعقله

¹ رزيقة مقداس. الصورة. الصحراء في الخطاب الروائي المغربي. أطروحة دكتوراه في الأدب والدراسات النقدية المغربية. جامعة تيزي وزو. الجزائر. السنة الجامعية: 2022/2021م. ص90

² أمينة محمد برانين. الصحراء في الرواية العربية، المجوس لإبراهيم الكوني أنموذجاً. دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان. ط1. 2011م. ص17

³ دار الحياة. الصحراء كما تجلت في الرواية العربية الحديثة.

وقلبه كما يراها بعينيه: "فهناك الصحراء بمعناها المادي.. أي أودية جافة وهضاب وامتدادات من البیداء، بينما السراب يتماوج عليها من بعيد كأنه الماء.. وهناك الصحراء بمعناها الشاعرى.. وهذا النوع الأخير لا يمكن لمسه باليد، أو رؤيته بالعين العادية.. إنه براح داخل العقل.. وقدرة على التعايش مع العطش.. إنه التسامح مع التيه، ومع الضنى ومع الوجع، الصحراء عالم سريالى، فيه الوهاد، وفيه الخطوط الصفراء المتعرجة، وفيه وجع الرحيل، وطعم فراق الأحبة، وفيه كذلك الأهمية الكبرى للدليل الذي يقود خطوات تابعيه لأماكن إطفاء الظمأ؛ أي للبرق الواقع تحت قمر الليل البعيد"¹.

غير أن هذا لا يمنع أن يكون هناك من الأدباء والشعراء والمغامرين من ساقهم الفضول لاقتحام مجاهل الصحراء مدفوعين بالرغبة العارمة في استكشاف هذا الفضاء الرحب الغامض، فأسرتهم بجمالها وأسرارها وكنوزها المعرفية التي فجّرت في دواخلهم ينابيع الإبداع، ومنهم ثلة من الغربيين الذين اختلفت دوافعهم في تجربة معايشة الصحراء: "فالذين ولجوا الصحراء أيّاً كانت دوافعهم قد غادروها وهم مُثَقَلون بوفرة من الحكايات لأن الصحراء مرتع فذٌّ للخيال، وفضاء لا يُضَاهَى لمسارات من السرد لا ينتهي، وهي التي ألهمت شعراء وروائيين ومغامرين ومستكشفين وجواسيس ومغرمين بأحبابيل الجغرافيا وكلمات التاريخ، ومتصوفة ومهووسين بالتحرش بحدود الموت وغيرهم ليدخلوها ويخرجوا منها وهم على غير ما كانوا عليه"².

لذلك فإن الكتابة عن الصحراء تستدعي معايشتها لنقل روحها وتفاعل الإنسان معها عبر التاريخ: "لأنها ببساطة ذلك السحر الأسطوري الكامن في المخيال الجمعي للإنسانية عامة"³، ولأن الصحراء أيضاً: "هي الرديف أو القرين للأبدية دائماً، ومحنة التعبير

¹. صبعي موسى. سردية الصحراء، حفاظ على الهوية أم بحث على الغرائبي والمدهش؟

<https://www.alfaisalmag.com/?p=987513208>

². بشير خلف. الجمالية المكانية في السرد القصصي لدى الكاتبة الرحالة الأدبية إيزابيل إيبهراردت، قصتها (النقيب) و(تحت النير) نموذجاً. منشورات الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار (السرد والصحراء). ديسمبر 2013م. أدرار. الجزائر. ص170

³. بشير خلف. الجمالية المكانية في السرد القصصي لدى الكاتبة الرحالة الأدبية إيزابيل إيبهراردت، قصتها (النقيب) و(تحت النير) نموذجاً. ص169

عن الأبدية هي محنة التعبير عن الصحراء، لذلك، كانت الكتابة عن الصحراء صعبة، لأنها الكتابة عن العدم، ولكنه العدم الذي يبدع الظاهرة، وليس العدم الذي ينفي الوجود، ومن هنا ينبثق الحنين للأبدية.. الحنين الميتافيزيقي الموجود في روح كل إنسان"¹.

ثانيا: التعبير عن ثقافة البادية

تمثل ثقافة البدو خاصية مهمة جدا في أدب الصحراء، فالببدو هم سكان الصحراء الخبيريون بأسرارها، المتجذرون في أرضها، المتصالحون مع طبيعتها القاسية ومظاهرها الجافة الغليظة، وهم الذين تحدوا الصعاب ليقهروا الصحراء ويتعايشون معها ويألفونها كما تألفها الوحوش. وهم يحملون في أعماقهم تراثا غنيا جدا يحكي معاناتهم وآمالهم، ظلوا يتناقلونه شفاهيا منذ أحقاب طويلة جدا بسبب الترحال الدائم المفروض عليهم، وعدم الاستقرار الذي حرمهم من ألفة المكان لكنه منحهم الإحساس الفياض بالحرية: "فعالم الصحراء غالبا ما يتم النظر إليه بصفته واقعاً ايكولوجياً فقط تُزَع عنه كل المفردات المتعلقة بالثقافة والتاريخ وعلم الأجناس، وتنفي عنه كل ارتباط بالجماعة البشرية التي تعيش فيه، وهو خطأ لا ينبغي الوقوع فيه، بل ينبغي النظر إلى الصحراء كفضاء غزير متخم بالدلالات والرموز، وكعالم مكثف يبني رؤى فكرية لا فكاك منها ويخلق نصّه الروائي المتخم بالدلالات"².

كما تتميز حياتهم اليومية بنظام فريد، ومنظومة من القيم التي استهوت الشعراء والأدباء كاللبساطة، والكرم، وإغاثة الملهوف، والشجاعة والتكافل، وتمجيد القوة، والشرف، ونقاء النسب، وتقديس الأولياء والصالحين، وكبار السن. ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الخصال الحميدة التي تميّز أهل الصحراء إنما أملتأ عليهم طبيعة الصحراء ذاتها وطبيعتهم عليها ليتمكنوا من العيش فيها: "إن قيم الكرم وحسن الضيافة والمروءة والتضحية في الصحراء تكتسب أهميتها بوصفها ضرورة وليست ترفاً. ذلك أن كل من تعامل مع

¹ . الطيب ولد العروسي. "قصاص الأثر" لخليل النعيمي، البحث عن روح الكائن السوري.

<https://www.nawa.ps/ar/post/19235>

² . دار الحياة. الصحراء كما تجلت في الرواية العربية الحديثة.

http://www.alwaraq.net/Core/news/news_indetail?id=982

الصحراء، فسيكون في حالاتٍ منقذًا وحالاتٍ محتاجًا إلى الإنقاذ، فهي بمثابة عقد أخلاقي مضمردا داخل السلوك. وقد ألفت الصحراء بقيمها لإلزام الجميع بالتعاون من أجل الجميع، ومن ثم، كانت الصحراء منجمًا لقيم الكرم والضيافة والمروءة والتضحية وتقبل الغريب وتقدير ظروف الآخرين والمسؤولية الاجتماعية¹

ويشيع في أوساطهم الإيمان بالقوى الغيبية التي تتحكم في مصائر الناس وتؤثر في تفكيرهم وسلوكهم، والركون المبالغ فيه إلى القدر بمعناه البدائي كتدخل مفاجئ لقوى ميتافيزيقية تحرف مسار الأمور إلى ناحية غير مرغوب فيها من دون سبب واضح: "الصحراء وعاء ثقافي خاص، وعالم شديد الانحياز إلى عزلته وتراثه ومقدساته وقيمه وأعرافه، ويهتم بالطقس الأسطوري في تفسيره للأحداث الكونية"².

كما وجدوا في هذه الثقافة كنوزا مدهشة فتحت لهم أبواب الإبداع على مصراعيه، وأمدتهم بكميات هائلة من الصور والأخيلة العجيبة التي أعطت لأدب الصحراء نكهة خاصة: "لقد وجدت الرواية العربية في الصحراء ضالتها لامتلاك خصوصية وهوية بعد استنفاد الأماكن الأخرى (الريف . المدينة . الحارة) لإمكانات الدهشة، كما وفرت للكتّاب ميراثا أسطوريا ثريا، وطقسا اجتماعيا شديد الغرائبية، وكما هائلا من المادة الفولكلورية يسهل تشكيلها، وعوالم لا تزال تحتفظ بطزاجتها، مما يسمح بمغامرة روائية تستفيد من هذه الإمكانيات"³، وأطلقت العنان لخيالهم ليسبح في عوالم فسيحة لا يحدها شيء، ولا غرو، فالصحراء: "قرين الحرية ومن أراد الحرية فعليه أن يمر بمتاهاة الصحراء، ففضاء

¹ . عبد الرحمن بن عبد الله الشقير. الصحراء: التفاعل الاجتماعي وتشكيل الهوية

[/https://www.omandaily.om](https://www.omandaily.om)

² . حمدي أبو جليل. ميرال الطحاوي: قرأت رواية الصحراء بامتياز

[/https://www.aletihad.ae/article/19586/2005](https://www.aletihad.ae/article/19586/2005)

³ . سيد رزق. ميرال الطحاوي ترى أن الرواية العربية وجدت ضالتها في الصحراء

<https://www.alqabas.com/article/55779>

الصحراء مفتوح على الماضي والحاضر والمستقبل، مفتوح على الأصالة والامتداد والاستمرارية¹، وكان ذلك سببا رئيسا في انتشاره وبلوغه العالمية.

ثالثا: الاحتفاء بالطبيعة

تبوّأت الطبيعة الصحراوية مكانة متميزة في أدب الصحراء بما تتضمنه من مظاهر تبعث بعضها المتعة والبهجة في النفس، وبعضها الرهبة والخوف، حيث الرمال الذهبية، والرياح والعواصف، والحرّ والقَرّ والقحط، والسراب الذي يسلب العقول، والأفق اللامتناهي المفتوح على كل شيء، والذي يزرع في النفس الإحساس بالمطلق واللامحدود، والإبل الضخمة التي تزن الواحدة منها مئات الكيلوجرامات، وتحمل من المتاع مثل وزنها لمئات الأميال وتقتات على ما تلتقطه من بين الأشواك وتكتفي بالشرب مرتين في الشهر عند الضرورة، وتندر أقوى الألبان قيمة غذائية على الإطلاق، والخيول الأصيلة الرشيقة التي يراها أصحابها من الصافنات الجياد بما فيها من الشكيمة والجمال والأنفة والقدرة المتغلبة في السباق على كل خيول العالم²، فهذه المظاهر وغيرها تجعل من الصحراء لوحة فنية باهرة تأسر كل من ارتادها: "في أبعاد الصحراء تكمن قيم الطبيعة وسحرها، فهي فضاء بكثبان، وفضاء بواحات، وفضاء بسما وأفق منطَبِقَيْن، وفضاء بألوان قوس قزح، وفضاء بجفاف ومطر، وخيول وجمال، وعيون ماء، فضاء متّصل اتصالا مباشرا بالسما، فكانت الأديان، وفضاء يعطي لأجزائه تمازجا كليا في لوحة كونية لا حدّ لامتدادها"³.

ولم يقتصر سحر الصحراء وطبيعتها على أبنائها فقط، بل إنه امتد ليشمل كل من زار الصحراء من الشعراء والأدباء واستمتع بطبيعتها في كل مظاهرها، فقد أثارت فيهم مشاعر الإعجاب والافتتان، وأسرتهم بِصَمْتِها وغموضها، وأدهشتهم بهدوئها وغضب عواصفها ونسائمها ورياحها وحرها وقرها، وألهمتهم بدائع الصور، ودرر الأفكار، وأعادتهم إلى طفولة البشرية وبداياتها البسيطة الساذجة، وظهرت نفوسهم من ترسبات المدنية

¹. صالح ولعة. المتخيل الصحراوي في الرواية العربية. منشورات مخبر الأدب العام والمقارن. عنابة.

². جاسر الحريش. رموز البقاء والانتصار في الصحراء العربية

<https://www.al-jazirah.com/2018/20181126/lp6.htm>

³. ياسين النصير. الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي. دار نينوى. دمشق. ط2. 2010م. ص112

وفتحت أمامهم آفاقاً لا نهاية لها من الأخيلة والأسئلة الوجودية، والطروحات الفلسفية التي لم تكن لتُتاحَ لهم لولا هذه الطبيعة الرائعة المتميزة في كل شيء، الفريدة في تضاريسها وكائناتها. يقول تيودور مونود: "كلما اقتربنا من المدينة ازددنا تلوثاً واتساخاً، أما في الصحراء فلا يمكن للإنسان أن يتّسخ لأنّ الرياح تنظفه باستمرار"¹

يقول أحمد عبد اللطيف معبرا عن طبيعة العلاقة التي تجمعها بالصحراء على الرغم من أنه ليس من أبنائها: "كابن للمدينة، لم أتمتع بحياة صحراوية، غير أن تجربتي في الحياة في الصحراء لأيام متفرقة كانت فرصة لتأمل الحياة، ليس كمن يطل عليها من نافذة، وإنما كسائر بين رمالها. وكانت الصحراء، ولا تزال، المكان الذي أحلم بالحياة فيه، كأن الإنسان حين ينضج يحب أن يعود إلى الطبيعة الأم كما يحلم بالعودة إلى الفردوس الأول. كتبت كثيراً عن الصحراء التي عشت فيها، وعن صحاري العالم، أيضاً. الصحراء كانت الأرض الأولى التي نشأت عليها، ومنها تعلمت الصبر والاحتمال والتعدد والحرية. وكلها، كما أتصوّر الآن، مفهومات إنسانية كونية لا مجال للقفز فوقها. وهي مفهومات نتعلمها مع المعلمين، في المدن، لكننا في الصحراء نتعلمها منها، من الطبيعة الأم التي تهرنا بقوة منطقها، وأساليبها التي لا تُنسى"².

رابعا: الطابع الروحي والتأملي

يرى علماء النفس أن التأمل من أهم العوامل التي تزرع في الإنسان الهدوء والسلام الداخلي وتخفف من حدة التوتر الذي يعاني منه، وتساعد على الاسترخاء والاستمتاع براحة البال، كما يعزز القدرة على الإبداع بما يتيح للإنسان من انفتاح على ذاته بحيث تمر الأفكار بعقله صافية واضحة، وتحرره من مختلف الضغوطات التي تحجب عنه حقائق الأشياء وتعيّنه على تجاوز العالم الفوضوي الذي يعيش فيه، لأن الأماكن المغلقة المحاصرة بالبنائيات الضخمة والجموع الغفيرة من الناس: "تبدو مليئة بالأفكار الكئيبة والذكريات

¹. إبراهيم الحيسن. مجتمع البضآن، الإنسان، المجال ونمط العيش. مجلة آفاق. اتحاد كتّاب المغرب.

ع87. سبتمبر 2014م. ص15

². حسن عبد الموجود. الرواية العربية في تيه الصحراء العظيم

<https://www.omandaily.com/>

الأليمة والأمال المحطّمة والترقب وحتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة ماديا واجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين الواقع"¹.

وقد وجد الشعراء والأدباء في الصحراء مكانا مثاليا للتأمل الروحي والفكري وانعكس ذلك على إبداعهم الأدبي بشكل واضح بحيث أصبح خاصية بارزة يستشف منها الناقد تأثير الصحراء كفضاء مكاني فيهم، فقد سمحت لهم بإعادة ترميم الذات، وشكّلت فرصة ثمينة للاحتماء من نزعات القلق التي يحدثها ضجيج المدينة، وبخاصة مع سيطرة النموذج الغربي على كثير من الخصائص العمرانية للمدن المعاصرة التي أفقدت الإنسان شعوره بالارتباط بالمكان.

فهذه الخصائص وغيرها أكسبت أدب الصحراء تميّزا، ومنحته استقلالية حضارية، وأخرجت للمبدعين كنوزا معرفية، وثروة ثقافية كانت مدفونة، ومنحتم آفاقا طبيعية بلا نهاية، يغرفون منها صورا وأخيلة لا تفتأ تتجدد وتتعدد، ودخل الأدب العربي مرحلة جديدة أعادت إليه تألقه وحفزت فيه عوامل الإبداع بعد أن قدم أدب الصحراء للعالم شكلا جديدا من أشكال الرواية التي لم يعهدها. فقد استطاع الفضاء الصحراوي أن ينافس الفضاء المديني بقوة وجدارة: "فبعد أن كانت الصحراء فضاء فارغا لا يمكن للروائيين أن

¹. حفيظة أحمد. بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية. منشورات مركز أوجاريت الثقافي. رام الله.

يجدوا فيه ضالهم المنشودة لتشابك أحداث الرواية، صاروا لا يستطيعون فتح جلّ مغاليق أسرارها، وتوظيف تراثها وثقافتها"¹.

المبحث الثالث: أدب الصحراء النشأة والتطور

إن كون أدب الصحراء نوع جديد طارئ على الأدب العربي الحديث لا يعني أن الصحراء كانت غائبة عن هذا الأدب، بل العكس هو الصحيح، فقد كانت الصحراء منذ أقدم العصور موطن العرب الأصلي، سكنوها لأحقاب طويلة، وتفاعلوا مع بيئتها القاسية، وانسجموا مع طبيعتها التي عركتهم وأخرجت أقوى ما فيهم من صفات القوة والصبر والتحدي، وأنبأ ما فيهم من خصال الكرم والشهامة والنخوة والنجدة والإباء والشمم والوفاء والشجاعة وقوة البأس. وفي هذه البيئة نبغ شعراء الجاهلية وبلغوا أعلى درجات الإبداع في التعبير عن المشاعر الإنسانية، وتصوير الطبيعة الصحراوية بأدق تفاصيلها، ورصد كل دقائق الحياة البدوية من حل وترحال، وغزو وسلم.

وبعد انتشار الإسلام في ربوع الجزيرة العربية بقي الشعر الجاهلي هو النموذج الأسى الذي يسعى الشعراء لاحترائه في جزالة لفظه، وقوة بيانه، وروعة تصويره لكن أشعارهم فقدت أهم ما كان يميز الشعر الجاهلي وهو العاطفة الصادقة، فكانت قصائدهم تقليدا للأصل ونسجا على منواله، ولم نعد نحس فيها تلك المشاعر الفياضة التي تعبر عن انسجام الشاعر العميق مع البيئة الصحراوية وانخراطه في جزئياتها وتفاعله مع كل حركاتها وسكناتها، وأحيائها وجمادها: "إن ظاهرة الأطلال في العصور التي تلت العصر الجاهلي كانت في الكثير منها مجرد تقليد، لأن الشاعر الذي يكون في بغداد، أو سامراء، أو المدينة، أو مكة أو في غيرها من الأمصار والمدن لا يكون بكاؤه طبيعيا أو حقيقيا أو صادقا، إذ ليست هناك

¹. أمنة بلعلی. المتخيل في الرواية الجزائرية من الممتائل إلى المختلف. دار الأمل. الجزائر. ط1. 2002م.

هموم وضغوط تنتاب الشاعر في هذه المدن كنتلك التي كانت تنتاب الشاعر الجاهلي من قلق وصراعات وعوامل نفسية، فالشاعر هنا يلبس ثوب الجاهليين وهو ليس منهم¹

وبذلك يكون الحديث عن الصحراء في الأدب العربي قد ارتبط أول الأمر بالشعر لأنه كان دوماً الأكثر حضوراً مقارنة بالموثوث السردى، وذلك عندما اقتحم الشعراء فضاء الصحراء بكل شساعتها وصعابها، وانخرطوا في أعماقها وأحكموا توثيق لجامها الذي يتأبى على الترويض²، وفجّرت طبيعتها ينابيع الشعر والفصاحة فيهم فتغنوا بها وأجادوا في وصفها، حتى بات الشعر الجاهلي هو العشق الأزلي للصحراء والذي لا يتكرر أبداً.

لقد مثلت الصحراء للشعراء قديماً رمز الامتداد واللاهائية والحرية والانطلاق، وأيقظت فيهم معاني القوة والصبر والتحدى، وكانت لهم مكاناً ممتازاً للعزلة والتأمل، ومسرحاً للبطولات والمغامرات، واستمدوا من قسوتها القدرة على التحمل والمثابرة، وكانت بمساحاتها الشاسعة وبيئتها القاسية تمثل اختباراً حقيقياً لقوة الإنسان، وفي أحضانها أبدعوا الشعر الجاهلي: "الذي حرّك الرمال وأقام عليها الأوتاد لخبائه، وأجرى على كئبانها الحياة، وفي فلواتها الشوق والوجد حتى أنطق الحجر والشجر حينها"³.

ثم طغت المدنية على الأدب العربي فتراجع الشعر الذي يمجّد الصحراء وينتصر لها، وفرضت الحضارة الغربية في عصرنا الحديث نموذجها على جميع مجالات الحياة العربية بما فيها الأدب. وكانت الصحراء في نظر كثير من الأدباء والنقاد الغربيين. تغلب عليها النظرة السطحية والنمطية، حيث تخيلها كثير منهم مناطق شاسعة خالية من الحياة يطبق عليها الصمت والسكينة، لا تسمع فيها سوى صرير الريح، ولا ترى سوى زوايا الرمال ويابس الشجر المتطاير هنا وهناك، وقد وصفها ميشال رو Michel Roux بقوله: "إن الفضاء الصحراوي يمثل اللافضاء (un non-lieu) تكسوه إحياءات سلبية، فهو فضاء الرتابة

¹. إبراهيم محمد السلوقي. مشاهد الصحراء وأثرها في الشعر الجاهلي والحديث، دراسة وصفية تحليلية موازنة. مجلة القرطاس. الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية. مج. 4. ع. 24. ص 225

². ينظر: أمينة برانين. فضاء الصحراء في الرواية العربية. ص 16

³. عمر الأنصاري. "أدب الصحاري.. وصحاري الأدب."

والسقم، لا يتمتع بالجمال والعظمة، وهو عكس الطبيعة لأنه يمثل اللاطبيعة (un non-paysage)، وهي إما معاناة وعدم يدفع إلى الجنون، حيث الحرّ والظمأ وأخطار التيه ولسعات العقارب والأفاعي، وإما ما دمّرت الحضارة¹، ووصفها فريدريك نيتشه من قبل بقوله: "الصحراء قاسية وتعيش من يحرسها"².

ولقي هذا الاتجاه هوى في بعض النفوس فمالت إليه، وأصبحت الصحراء: "تحضر في الخطاب العربي المعاصر متلبّسة بمفهوم يجعلها مرادفة للتخلف والرجعية. وطغى على وعي الإنتلجنسيا العربية خطاب يقوم على ازدراء الصحراء، حتى أصبح ذلك جزءاً من حالة التأنق اللغوي لخطاب النخبة"³ والذي تم التركيز فيه على جبروت الصحراء وصعوبة إخضاعها، وتم وصفها بالسجن واللعة، وربطها بالموت لأنها متغيرة باستمرار وعصية على السيطرة، حتى قال عليّ الوردي: "البداوة تمجد قيم التعصب والثأر والغزو والنهب، وهي قائمة على فكرة الاستحواذ"⁴.

ويذهب مكي سعد الله إلى أن هذه النظرة القاصرة قد طالت البدو فتم وسمهم بمختلف المثالب والمساوئ: "ومع شيوع هذه الهوية المتوهمة تم تنبئتها معجماً كتعريف لمفهوم ومصطلح البدوي وساكن الصحراء. وتكرر مشاهد السلبية والعدوانية كلما استحضر البدوي ليرتبط في السرد الغربي المتحيز بكل المظاهر اللاإنسانية والتي صنعت منه

¹. رزيقة مقداس. الصورة. الصحراء في الخطاب الروائي المغربي. أطروحة دكتوراه في الأدب والدراسات

النقدية المغربية. جامعة تيزي وزو. الجزائر. السنة الجامعية: 2022/2021م. ص52

². صبيح موسى. سرديّة الصحراء، حفاظ على الهوية أم بحث على الغرائبي والمدهش؟

<https://www.alfaisalmag.com/?p=987513208>

³. سعد العبد الله الصويان. الصحراء العربية، ثقافتها وشعرها عبر العصور

http://www.saadsowayan.info/articles/ar_desert.html

⁴. عليّ الوردي. الأخلاق، الضائع من الموارد الخلقية. دار الوراق. بيروت. ط1. 2007م. ص10

آلة للمهمجية والبربرية والوحشية، وحملت النصوص والمختارات الأدبية هذه المشاهد لتكون صورة ثابتة ونمطية تتوارثها الأجيال"¹.

وهو يرى أن هذه المعتقدات الخاطئة كانت نتيجة اعتقاد الغربيين أن الصحراء أرض قفر لا ثقافة فيها ولا حضارة، لذلك فهي لا تحتوي سوى الشرور والعنف والترويع: "وربما يعود ذلك في مجمله إلى ما وَقَرَ في الأذهان من أن الفراغ الذي يكتنف الصحراء يعادله فراغ أخلاقي وثقافي وحضاري، وأن البيئة الصحراوية القاسية تجلب الأخلاق السيئة كالمكر والفضاظة والتعصب"².

وبعد غفوة طويلة كانت الصحراء فيها منسية مهْمَشَة، طفا على السطح مصطلح أدب الصحراء مرة أخرى لكن في ظروف مختلفة تماما، وظهر إلى الوجود في وقت متأزم عاش خلاله الوطن العربي سلسلة من المآسي والنكبات والهزائم والفواجع والانكسارات، ابتدأت بالنكبة الفلسطينية، مروراً بنكسة 1967م وانتهاءً بجملة من الاتفاقيات الانهزامية التي كرّست التبعية بكل أشكالها، وعمّقت الواقع البائس للشعوب العربية ما أصاب الأدباء والشعراء بموجة اكتئاب حادة جعلتهم يبحثون عن منفذ آمن يشعروهم بالتححرر من وطأة السيطرة الغربية التي كانت تكتم أنفاسهم: "هذه الرؤية التي أنتجت نماذج من التحرر الإبداعي، التي تسعى إلى إزاحة المركزية الأوروبية الإبداعية، وتحطيم القالب المفروض لنزعة العالمية. جنبا إلى جنب مع تدافع موجات التحرر الإبداعي وتزايد اختراق كتاب الهوامش (أفريقيا، وأميركا اللاتينية والهند وأستراليا) للفضاء الثقافي للمركز الأوروبي-الأميركي، والإلحاح على الحضور فيه بتقديم نماذج إبداعية لا تخضع لمبدأ التشابه التقليدي، بل تستقطب المركزية الأوروبية الأمريكية لتقرأها متنا لا هامشا بكل (الحواس) أي العلوم،

¹. مكي سعد الله. البقاع المقدسة في الرحلة الغربية -رحلة في بلد العجائب- (حج مسيحي إلى مكة والمدينة) لألبير لوبوليكو أنموذجا، تفكيك التحيز والهوية المركزية. مجلة دراسات استشرافية. ع 16. 2018م/1440هـ ص40.

². المرجع نفسه. ص40

والبلاغة والأنثروبولوجيا، والسردية، والفلسفة. فكانت كتابة الصحراء وتجلياتها هي الإضاءة.¹

وفي ظل هذه الظروف أصبحت الرواية العربية الجديدة المتجهة نحو الصحراء: "بنية فنية دالة على الاحتجاج العنيف، والرفض لكل ما هو متداول ومألوف"²، سعى من خلالها الروائيون العرب: "إلى تحقيق منجز روائي عربي أصيل يحمل سمات الهوية العربية، وكان ذلك بإيعاز وتشجيع من تجربة أمريكا اللاتينية، حيث تمكنت الرواية اللاتينية من شق طريقها نحو العالمية بهويتها الحقيقية، وخصوصيتها بعيدا عن سياق الرواية الأوروبية"³، وهي الظاهرة التي عبر عنها بعض الباحثين بمركزة الهامش وتهميش المركز والتي أيقظت في نفوس المبدعين العرب حنينهم الصحراء التي أصبحت في نظرهم: "أرض الكنوز والنبوات والمعجزات والخوارق والأساطير والغموض والسحر والحضارات العملاقة، تختزن كمًا هائلا من الدلالات والمعاني والرموز التي لا فاصل فيها بين التاريخ والأسطورة، أو بين الحقيقة والخيال"⁴.

وبما أن الرواية كانت في الثلث الأخير من القرن العشرين هي الشكل الأدبي الأكثر رواجًا، فقد تجلّى أدب الصحراء فيها أكثر مما تجلّى في الأشعار، وكأن هذين الجنسين قد تبادلا الأدوار، حيث فرضت روح العصر أن تكون البنى السردية هي الأقدر على الانتشار والتأثير، لأنها: "تمتلك قدرات فنية هائلة لطرح أزمت الواقع، وصراع الأيديولوجيات والتعبير عن التحولات الحضارية والاجتماعية في العالم كله، ما جعل الأعمال السردية،

¹ هدى أبو غنيمه. تجليات الصحراء في أعمال منيف والكوني. عود الند. مجلة ثقافية فصلية. ع3. شتاء 2017م.

<https://www.oudnad.net/spip.php?article1788>

² شكري عزيز الماضي. أنماط الرواية العربية الجديدة. مجلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. سبتمبر 2008م. ص16

³ جنات زراد. تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية العربية. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة عنابة. ع13. 2017م. ص127

⁴ عبد الصمد زايد. المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة. دار محمد علي للنشر. منوبة. تونس.

ط1. 2003م. ص133

بوصفها شكلاً ثقافياً، والرواية خصوصاً، هي الأقدر على تقديم الصوت الجماعي. وأصبحت في العالم العربي فضاء الحرية في مجتمعات تعاني أزمة حرية مفتقدة، وديمقراطية مستلبة. وتزامن تطورها النوعي مع خط الانكسار العربي¹.

وبعد أن غابت الصحراء ردحا من الزمن باعتبارها فضاء عصيا على التشكيل الفني والجمالي عاد إليها الروائيون العرب يحملون في أنفسهم أثقال الهمّ الحضاري الذي سكن أعماقهم. إذ أن من أهم العوامل التي ساعدت على نشأة أدب الصحراء. كما أسلفنا. حدة الأزمان المصيرية التي واجهت الإنسان العربي أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين، والتي جعلت كُتّاب القصص والروائيين يدركون أن اقتفاء الرواية العربية للفن الروائي الغربي حذو القذة بالقذة قد رماهم في متاهة التبعية المقيتة. فالمدينة في الرواية الغربية لها مكانة محورية في النسيج السردى، ما جعلها هي الطرف الأقوى والمسيطر في الرواية العربية: "غير أن المدينة التي تنقب عنها الرواية العربية غائبة في معظم الأحيان، فتبدو كما لو كانت مدينة لا تاريخ لها تغوص في تراكم كميّ عقيم، وتظل معلقة في زمن الغوغاء"².

وقد استطاع الروائيون العرب باكتشافهم للفضاء الصحراوي أن يتخلصوا نوعاً ما من قبضة الرواية الغربية، وأن يجتهدوا في قطع الصلة التي كانت تربطهم بها لأنهم اكتشفوا الكثير من الممكنات الجمالية الخاصة بهم لغة وتراثاً: "فبعد مرحلة الانهيار والأخذ من التقنيات الغربية، تولدت مرحلة مغايرة في تاريخ الرواية العربية مخالفة للغرب في توجهاتها ومنطلقاتها، استمدت وجودها من البحث في التاريخ والتراث الأصيل، فكان اللجوء إلى الفضاء الصحراوي باعتباره خطاباً تحريضياً ترجم الخصوصية العربية وحمل عمق الانتماء إلى المجتمع العربي، أراد الروائيون من خلاله التأسيس لرؤى رمزية تتشابك مع

¹. هدى أبو غنيمه. تجليات الصحراء في أعمال منيف والكوني. عود الند. مجلة ثقافية فصلية. ع3. شتاء 2017م.

<https://www.oudnad.net/spip.php?article1788>

². فيصل دراج. نظرية الرواية والرواية العربية. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2002م.

التاريخ ومع التراث ومع الهوية لينفتح التوظيف على إيديولوجيا قائمة على ميلاد الذات العربية، واسترجاع الهوية التي سعى الغرب للقضاء عليها¹.

واكتشفوا. وهم يرتادون مجاهل الصحراء ويغوصون في أعماقها. أنها على الرغم من قساوة مناخها وبعدها عن مراكز الحضارة إلا أن التجمعات السكانية بها تمتلك ثقافة غزيرة وتراثا غنيا لكنه في أغلبه يتم تناقله عبر الأجيال شفويا منذ أحقاب موعلة في القدم، فوجدوا فيه زادا فنيا أصيلا ممتدا في أعماق التاريخ لا ينقصه سوى الإبداع الأدبي ليخرج أجمل ما فيه: "فالنصوص السردية بالصحراء إنما خرجت من تحت معطف الثقافة الشفهية التي أنتجت الحكايات الشعبية والأشكال الفرجوية، فضلا عن الأشعار والألغاز والأمثال"²، وهو ما حدا ببعض الباحثين إلى تأكيد أن روايات الصحاري العربية تعكس واقعاً ثقافياً أكثر منه جغرافياً، يشمل الوطن العربي الذي هو (صحراء ثقافية).

وبذلك وجدت الرواية العربية ضالتها المنشودة في الفضاء الصحراوي، باعتباره مكانا عربيا خالصا يمنحها خصوصية وهوية، وتحولت الصحراء في إبداعات الروائيين العرب: "من مكان جغرافي ساذج وبسيط وقاحل إلى فكر عميق غني برؤى وأفكار مختلفة... وبانجذابهم إلى هذا الفضاء أرادوا أن يعبروا عن فرحة الابن الضالّ الذي عاد إلى حضن أمه ولها، مشتاقا، طائعا، وكله شوق وحنين إلى وطن قد هُمّش، وتُركَ جانبا مقصيّا لا يسأل عنه أحد. فكانت الصحراء رمز الانبعاث والانتماء والتجدّد، وبالمقابل باحت لهم بالكثير من أسرارها الخاصة التي تجلّت في متونهم الإبداعية"³.

ومما لا شك فيه أن توجّه الروائيين العرب إلى الصحراء كان في البداية شاحبا وضئيلا، لا يبدو أن يكون تلميحات عابرة تحمل في أغلبها صورة سلبية مستوحاة من الصورة النمطية الشائعة عن الصحراء، ثم ما لبثت هذه التلميحات أن غابت لتخلفها

¹. ليلي تحري. "الصحراء وإعادة تشكيل الهامش في الرواية العربية". مجلة قراءات. مج 14. ع 1. 2022م. جامعة الطارف. الجزائر. ص314

². بوزيد الغلى. الصحراء والكتابة، من زمن الحكاية إلى زمن الرواية.

<https://alantologia.com/blogs/79801>

³. ليلي تحري. "الصحراء وإعادة تشكيل الهامش في الرواية العربية". ص130

تأملات عميقة في الطبيعة الصحراوية، وطبيعتها الخلابة التي توجي بالرغبة والرغبة، وبيئتها البدوية بكل ما تزخر به من العادات والتقاليد المرتبطة بالأرض، وتراثها الشفهي الغني الذي يختزن كنوزا معرفية ظلت مدفونة في صدور أهلها: "عالم الصحراء عموما ليس فلكلورا أو مجرد مظاهر خارجية، إنما هي الأعماق والذاكرة والتراث"¹

ومن النماذج المبكرة التي رأى النقاد أنها من فواتح أدب الصحراء، ما جاء في روايتي غسان كنفاني (رجال تحت الشمس) و(ما تبقى لكم) حيث جسد فيهما بشكل فني جميل علاقة الإنسان بالصحراء، وكيف أن اندماجه في أرضه يمنحه قوة وصلابة وقدرة على الصمود، وأن انسلاخه منها وهروبه من أحضانها يرميه في متاهة الاغتراب ومزيلة التاريخ. ففي الرواية الأولى التي صدرت عام 1963م ببيروت ظهرت فيها الصحراء قاسية توجي بالموت والضياع ولا توجي بالحياة، وكانت جحيما يغتال الإنسان الفلسطيني فيموت مغتربا في فضائها القاحل: "فأبطال (رجال في الشمس) انهزاميون لم يحتملوا قساوة الصحراء، ولم يحتملوا العيش في وطنهم، وقبلوا صلابة الصهريج على صلابة الأرض فانتهوا ثلاث جثث ملقاة على مزبلة من مزابل الصحراء، فقد أمدّ المؤلف فضاء الصحراء بخيوط الموت والقهر والعذاب"²

أما الرواية الثانية التي صدرت عام 1966م فقد تحوّلت فيها علاقة الفلسطيني مع الصحراء إلى علاقة حميمة وبيئة خصبة، تبعث في وجدانه الأمل والحياة: "فالصحراء التي كانت قبرا وجحيما في (رجال في الشمس) أصبحت محطة انطلاق البطل (حامد) في رواية (ما تبقى لكم)، إنه تنامي الوعي والبحث عن الوطن المفقود، فكانت العلاقة بين البطل حامد والصحراء علاقة تصالح لا اصطدام، علاقة تقبل كلاهما للآخر... إنه الفضاء الذي

¹. صالح ولعة. المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن.

2010م. ص 137

². ليلى تحري. "الصحراء وإعادة تشكيل الهامش في الرواية العربية". مجلة قراءات. مج 14. ع 1. 2022م.

جامعة الطارف. الجزائر. ص 319

بشّر بطلائع الفجر والحرية، والقدرة على اتخاذ القرار، فكانت جسر العبور إلى الذات، فالصحراء قرين الحرية، ومن أراد الحرية فلا بد أن يمر على متاهات الصحراء"¹.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن أدب الصحراء قد شهد أولى إرهاصاته الجادة على يد الروائي صبري موسى الذي كتب رواية (فساد الأمكنة) ونشرها عام 1970م: "استطاع فيها أن يغوص في أعماق (صحراء جبل الدرهيب)² بعد أن قضى هناك أياماً ليخرج لنا برحلة صحراوية موحشة ولكنها شيقة في الوقت نفسه، تجعل القارئ يتساءل حول معانيها طويلاً متأثراً بحياة بطلها (نيكولا) الهارب إلى الصحراء ومحاولاته لاستكشاف ذاته، كل ذلك بسرٍ شيق وبلغه خاصة، قد لا يتفاعل معها القارئ وينجذب إليها في القراءة الأولى، ولعل ما فعله صبري موسى في هذه الرواية قد أصبح سمة وعلامة أساسية في روايات الصحراء، فلا يمكن لكاتبٍ أو روائي بعده أن يخوض هذا العالم بدون استخدام تلك اللغة الخاصة التي تختلف من كاتبٍ لآخر، ولكن يبقى لها خصوصيتها وثراؤها"³.

وقد وصفها الناقد محمد بدوي بقوله: "لقد أحدثت (فساد الأمكنة) دوياً في الحياة الأدبية: إذ تكثفت فيها خبرات موسى المتنوعة وتأزرت لتقدم نصّاً روائياً بالغ العمق، وتعد النموذج الأمثل لأدب الصحراء أو بمعنى أدق يمكن الإشارة بأنها الرواية الأولى في هذا المضمار"⁴.

ثم توالى بعده الإبداعات الأدبية التي لفتت انتباه القراء والنقاد إلى هذا النوع الجديد من الأدب الذي اقتحم الساحة الثقافية العربية وفرض نفسه بما يحمل في ثناياه

¹. المرجع نفسه. ص 321

². جبل الدرهيب يقع جنوب الصحراء الشرقية قرب حدود السودان على طريق برانيس أسوان غرب رأس بناس، شمال شلاتين بحوالي 150 كم، حوالي 30 كم من برانيس، جنوب ضريح الشيخ الشاذلي، ويعد موقعا أثريا مهم بالصحراء الشرقية وبه الكثير من أسرار من قبل عصور الفراعنة.

³. إبراهيم عادل. أدب الصحراء: 10 روايات عربية عن الأمان في عالم الوحشة.

[/https://ida2aat.com/10-novels-about-desert-safety-savage-world](https://ida2aat.com/10-novels-about-desert-safety-savage-world)

⁴. أدب الصحراء، من المؤسس صبري موسى إلى ميرال الطحاوي

<https://www.dostor.org/3525691>

من نزعة تحريرية، وتوجّه مستقل، وبرزت أعمال عبد الرحمن منيف الذي أصدر روايته (النهايات) عام 1977م، ثم رواية (مدن الملح) بأجزائها الخمسة من عام 1984م إلى عام 1989م والتي عالجت إشكاليتين كبيرتين هما: الصحراء والنّفط. وعالم الصحراء في رواياته يحيل إلى مكان البراءة الأولى حين تنتهكها حادثة عرجاء، لترسم إمكانية مخرج إيجابي ينبثق من روح المكان: "حيث يروي عبد الرحمن منيف حقاً عن الصحراء، ولكن صحراء لا تحيل إلى موقع جغرافي خاص، بل إلى شرط إنساني عام يميزه مكانه - هو الموقع العربي الراهن - وعليه أن يبني انطلاقاً منه إنسانيته التي بها تلتقي إنسان كل مكان وزمان. فالنهايات حجر زاوية في رؤية منيف الإنسانية والروائية بأن، لأنها تؤسس لكل البدايات المرجوة"¹.

وتألق إلى جانبه إبراهيم الكوني الذي لمع نجمه في أوروبا قبل أن يعرفه المجتمع العربي، وكان له الفضل في قلب النظرية الغربية التي تقرر أن الرواية صنف أدبي مدني بمعنى أنه لا يتصور إنتاجها في غير المدينة ولا يمكن أن تتناول سوى مفردات وشخصيات وعوالم متحضرة معتبرة إياها مسلمة لا تقبل النقاش، فقابلها الكوني بروايات وملاحم صحراوية تدور في معظمها حول واقع ليبيا والعلاقة التي تربط الإنسان بالصحراء، رافضاً اعتبارها مجرد خلاء، ومؤكداً أنها عوالم ملهمة ومنفتحة على جوهر الكون ومتصالحة مع حتمية القدر الذي لا يرد، مطعماً رواياته بالمعتقدات الدينية وأشعار الطوارق التي أعطت لأعماله نكهة خاصة والتي استلهمها برباعية الخسوف التي صدرت عام 1989م، ثم أتبعها بسلسلة من الروايات مثل "المجوس" و "التبر" و "نزيف الحجر" و "الفم" و "واو الصغرى" وغيرها: "وكل أعمال إبراهيم الكوني أو جلّها انطلاقاً من العتبات (الإهداءات، الومضات، التصديرات، صور الغلاف...) تحتفي بالصحراء أو تحيل إليها أو تلمح إلى متعلقاتها ودلالاتها"².

كما ظهرت على الساحة الروائية المصرية ميرال الطحاوي التي أصدرت في أواخر 1996م رواية (الخباء) التي عكست فيها ربما لأول مرة صوت المرأة في عالم الصحراء،

¹. بطرس الحلاق. عبد الرحمن منيف في (النهايات)، رواية الصحراء عند منيف: حادثة متجذرة في المكان

http://maaber.50megs.com/issue_march12/books_and_readings1.htm

². الاتحاد الثقافي. الصحراء في أدب إبراهيم الكوني.. شعرية الفضاء السردى

واستطاعت أن تنقل من خلالها الكثير من عالم الصحراء والبادية بما فيه من خصوصية، وأتبعها برواية (الباذنجانة الزرقاء) عام 1998 و "نقرات الظباء" عام 2001. ومثلها في ذلك الروائية السعودية رجاء عالم برواية (خاتم) ورواية (سيدي وحدانه) ورواية (ستر)، وأحمد أبو دهمان في رواية (الحزام)، وزيد مطيع دماج في رواية (الرهينة) وغيرهم كثير.

واتسع مجال أدب الصحراء، وتعدد مبدعوه، وفرض نفسه على الدراسات النقدية وبخاصة بعد احتفاء الغربيين به. يقول عباس الجراري: "إن أدب الصحراء تجاوز تلك المرحلة التي كان فيها منغلّقاً على نفسه، لعوامل جغرافية وتاريخية وجيوسياسية، حيث إنه فك أغلال الانعزال والركون إلى الجمود، والبقاء في دائرة جغرافية محدودة"¹. وعلى الرغم من أنه لا يزال طريّاً العود نظراً لحدائث سنه إلا أن ارتباطه بالهوية، واستشعاره الاستقلالية عن التبعية الغربية قد أضاف إلى رصيده زخماً وقوة أحسّ معها الروائيون العرب بخاصة أنهم حققوا هدفهم في: "الوصول إلى إنتاج رواية عربية لا يخطئ من يقرأها في اكتشاف هويتها ومزاياها، وطريقتها الخاصة في القص"²، وأصبح أدب الصحراء مصطبغاً بالصبغة الوطنية والقومية، وملكية خاصة لا شائبة أجنبية فيها، فهو: "مرآة العرب، وسجلّهم، سجلّ الأفكار والأحلام، تاريخ من لا تاريخ لهم، تاريخ الفقراء والمسحوقين الذين يحملون بعالم أفضل، وسيكون حافلاً بأسماء الذين لا أسماء لامعة لهم، سوف يقول كيف

[/https://www.aletihad.ae/news](https://www.aletihad.ae/news)

¹. حسن الأشرف. "أدب الصحراء بالمغرب، عواطف وجغرافيا"

[/https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/civilisation](https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/civilisation)

². جنات زراد. تجليات الصحراء في الرواية العربية. ص 130

عاشوا وكيف ماتوا وهم يحملون، ولا بد أن تقرأ الأجيال القادمة التاريخ الذي نعيشه، تاريخ العودة إلى الصحراء، لا في كتب التاريخ المصقولة، وإنما في روايات الأجيال¹.

خاتمة:

نخلص في ختام هذا البحث إلى أن أدب الصحراء قد رأى النور في بداياته الأولى مع نهاية سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن العشرين، ليعبر عن الأزمة الحضارية الخانقة التي كانت تأخذ بتلابيب الشعوب العربية بعد أن كسرتها الهزائم المتكررة، وأرهقتها التبعية الغربية التي لم تتوان عن تكريس سيطرتها وسد منافذ الانعتاق من ربقتها على الوطن العربي. وكانت الصحراء في هذه الظروف العصبية كحوض الأم الحنون الذي ارتى فيه ابنها الشارد الضال الذي طال غيابه، وفي أرجائها الفسيحة وأفاقها اللامتناهية تفجرت مواهب المبدعين من الشعراء وكُتّاب القصة والروائيين.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الرواية قد استحوذت على نصيب الأسد في هذا الأدب الوليد، وتسارعت وتيرتها مقارنة بغيرها من الأجناس الأدبية نظرا لما تمتلك من أدوات التعبير والتأثير الذي يتناسب مع معضلات العصر وأزماته السياسية والاجتماعية والأخلاقية، ولمع في سمائه ثلة من الروائيين الذين ساروا بالأدب العربي في سبيل جديد، وخطوا له مسارا مغايرا كان من أهم أبعاده إثبات الهوية العربية والاعتزاز بالانتماء إلى الصحراء التي تبعث على الرهبة والقوة والنقاء، والانخراط بشغف كبير في هذا الفضاء الجديد ومحاولة استلهم كل ما فيه من مظاهر طبيعية وثقافية وإدراجها في الأعمال الإبداعية التي وجدت في الصحراء ثروة من الجماليات الأخاذة التي زينت جيد هذه الروايات بحلة لم نعهدها فيها، مما سمح لهم بخوض غمار تجربة الكتابة الأصيلة الواعية بعيدا عن الوصاية الغربية، عندما استفادوا في اتصالهم بالفضاء الصحراوي من رحابة المكان وظلاله وأثاره على الوجدان العربي العام، فشكل ذلك عاملا إيجابيا في البناء الروائي على صعيدي الشكل والمضمون. وعرفت الساحة الأدبية العالمية نوعا جديدا من السرد الجميل الذي يحمل صبغة متميزة ومتفردة لا تمت بصلة لرواية المدينة ولا لرواية الريف، وهذا ما يفسر اهتمام القراء والنقاد الغربيين به وسعيهم لترجمة أجود إبداعاته وأكثرهم شهرة لعدة لغات.

وإذا كانت الحداثة التي فرضت نفسها على الأدب العالمي تقوم في أساسها على تغييب الماضي بل وإلغائه، فإن من أهم إنجازات أدب الصحراء أن الروائيين العرب الذين انخرطوا في تيار أدب الصحراء قد استطاعوا أن يتجاوزوا باقتدار مطلب الحداثة بنقض الماضي ومقاطعة التراث وذلك من خلال توظيفه بحمولته التاريخية والثقافية عبر آليات حداثية، مما يعمل على تحقيق مبدأ الذاتية والتحديث في صناعة النص الأدبي المعاصر، وهذا هو الإبداع الحقيقي².

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

1 . الصحراء تحتل مساحات شاسعة في مجمل الوطن العربي، وكانت دوما حاضنة لثقافتنا، ومصدرا للقيم الأخلاقية، وسلامة الفطرة في مقابل انحرافات المدينة ومفاسدها، والمكان الصحراوي على الرغم من غياب الطويل عن مشهدها الواقعي والفكري والأدبي إلا أنه ما يزال يفعل فعله بعنف وقوة في الوعي العربي الحاضر، ويتدخل لاشعوريا في توجيه السلوك اليومي ويحدد صيغ إدراكنا للواقع.

2 . الأدب العربي قبل الإسلام قد ولد ونشأ واستوى على سوقه في أعماق الصحراء وبين رمالها وتحت أشعة شمسها الحارقة وليلها البارد، فكان الأدب الجاهلي بكل جماله وبلاغته

¹. محمد ذنون الصائغ. ثنائية المكان، الاغتراب في الأدب الرواقصي. دار الثقافة والإعلام. الشارقة.

ص341. 342

². ينظر: أحمد بوعافية. جماليات توظيف عجائبية الصحراء في السرد الجزائري المعاصر، قراءة تحليلية

في نماذج سردية مختارة. ص581

وسموه، أدب استنطق فيه الشعراء ببراعة كل شاردة وواردة في هذه البيئة، وامتزجت فيه مشاعرهم ورؤاهم وأحلامهم بكل ذراتها.

3. اصطبغ الأدب العربي بعد الإسلام والعصور التي تلتها بصبغة المدينة وبهجرة الحضارة، فابتعد عن الفضاء الصحراوي وأصبح ذكر الصحراء مجرد تقليد للأقدمين يفتقد لحرارة الوجدان وصدق العاطفة.

4. شهد الثلث الأخير من القرن العشرين سلسلة من المآسي والهزائم والانكسارات التي عصفت بالشعوب العربية وأشاعت في أوساطها مشاعر الإحباط واليأس والاكتئاب، وإن اكتشاف النفط واستقدام الأجانب لاستخراجه قد لوث البيئة الصحراوية وعاث فسادا في طبيعتها الصافية، وكانت آثاره على المجتمع البدوي مأساوية إلى أبعد حد، وإن الشعراء والكتّاب كانوا من أكثر الناس تأثرا بهذا الجوّ البائس، فكان التوجُّه إلى الصحراء في عذريتها هروبا من هذا الواقع الأليم وإيدانا. في الوقت ذاته بميلاد أدب الصحراء.

5. استأثرت الرواية بالقسم الأكبر من أدب الصحراء بحيث تم التركيز عليها في الدراسات النقدية، وتسلط الضوء على مضامينها ومناهجها وجمالياتها أكثر من باقي الأجناس الأدبية التي خاضت هذا الميدان باعتبارها الأكثر إخلاصا في علاقتها بالواقع وفي التعبير عنه، حيث تقدّمت الرواية بقوة في المشهد الصحراوي واستطاعت أن تنتزع من الشعر صدارة المشهد الثقافي، وهذا التحول لا علاقة له بالقيمة الإبداعية والجمالية لكل منهما بقدر ما هو مرتبط بتحوّلات المبدعين نحو فضاء جديد يتيح لهم إمكانات رحبة لإبراز قدراتهم الإبداعية فيه.

6. إن من أهم خصائص أدب الصحراء الارتباط بالبيئة الصحراوية، والتعبير عن ثقافة البدو التي تزخر بالأساطير العجيبة والمثيرة، والحكايات الغريبة، والخرافات المغرقة في الدهشة والسحر، والمفعمة بالتجارب الحياتية الغنية بالمواقف العصبية والإنجازات الكثيرة في مواجهة الجفاف والجوع والأخطار، والاحتفاء بالطبيعة بكل مكوناتها من جماد وحيوان ونبات، والطابع الروحي والتأملي الذي يتيح اتساع المكان وصمته وهدوءه، فعلى الرغم مما شاع من أن الصحراء أرض قاحلة جرداء فقد كانت دوما أوسع فضاء للتأمل والتفكير، وكانت دوما أفضل موطن للأساطير والأشعار.

7. إن من أهم الثيمات والموضوعات التي عالجهما أدب الصحراء ثيمة الهوية والانتماء التي تحولت إلى قضية مركزية فيه عندما وجد الشعراء والأدباء أنفسهم في الفضاء الصحراوي وأيقنوا أنه ممتد في أعماقهم ومتغلغل في كيانه؛ كونه يمثل الموطن الأم للشعوب العربية، وثيمة الصراع من أجل البقاء الذي كان واضحا في طبيعة الصحراء القاحلة التي ترغب الإنسان على الكدح الدائم لتحقيق لقمة العيش وتزرع فيه مشاعر الصبر والمقاومة، وثيمة العزلة والصمت التي فجرت ينابيع الإبداع في نفوس الشعراء والأدباء الذين سبخوا في فضاء الصحراء واستنماوا لشواعبها وصممتها المهيب الذي منحهم فرصة ثمينة لاعتزال الضوضاء والبشر والاختلاء بأنفسهم، وثيمة الأسطورة والخرافة التي تكتنز العجائب والغرائب والرموز المدهشة والحكايات الساحرة وكل ما يجنح بالخيال في عالم بعيد عن الواقع، وثيمة التنقل والترحال الذي يوحى بالتجدد والتغيير الدائم،

8. إن من أشهر أعلام أدب الصحراء الروائي الليبي إبراهيم الكوني الذي أبهر قراءه بما كشف من أسرار الطوارق سكان الصحراء الغامضين الذين يعيشون عزلة حضارية، ولا يرتضون عن الصحراء بدلا، وبما أبدع في تصوير طبيعتها وحيواناتها في قالب خيالي ساحر، وقد لقيت رواياته الممزوجة بالأساطير إقبالا كبيرا وتمت ترجمتها إلى عدة لغات عالمية.

9. إن من أشهر أعلام هذا الأدب أيضا كوكبة من الروائيين الذين يتوزعون على امتداد الوطن العربي أمثال: عبد الرحمن منيف، وأحمد أبو دهمان، وتركى الحمد، ورجاء عالم، وأميمة الخميس من السعودية، وموسى صبري وميرال الطحاوي من مصر، و خليل النعيمي من سوريا، وزيد مطيع دماج من اليمن، ومحمد سالم الشرقاوي من المغرب، وموسى ولد بُنو من موريتانيا، وإبراهيم الدرغوئي من تونس، والحبيب السائح من الجزائر، وغيرهم كثير.

10. يمثل أدب الصحراء نموذجا سرديا متميزا يجمع بين الوصف الحسي العميق والبعد الرمزي، والتوظيف الفني للأسطورة، وللزمان والمكان، من خلال اللغة الإيحائية المكثفة، والصور الشاعرية المميّزة، فهو يقدم تجربة جمالية وفكرية عميقة وبديعة تتحدى الزمن وتستمر في التأثير على الأدب العربي لأجيال عديدة قادمة.

11 . يمثل أدب الصحراء أيضا تجربة أدبية غنية وفريدة في الأدب العربي، ويقدم رؤية مختلفة للعالم لأنه ينقل روح المكان الذي ظلَّ مهمَّشا ومنسيا لأحقاب طويلة، ويجسّد تفاعل الإنسان مع الطبيعة القاسية وانسجامة معها على الرغم من قسوتها، ويستمد قوته وتميَّزه من طبيعة الفضاء الصحراوي وتأثيراته الفلسفية، ومن السمات العربية الخالصة التي تعدُّ رمزا للهوية والذات العربية التي تبحث عن الحرية والانعتاق من أسر الآخر، والفكاك من هيمنته الثقافية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

1. إبراهيم الكوني. الصحراء المغلقة. دار الآداب. 2006م.
2. أحمد بن عثمان رحمانى. النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن. ط1. 2008م.
3. آمنة بلعل. المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف. دار الأمل. الجزائر. ط1. 2002م.
4. أمينة محمد برانين. الصحراء في الرواية العربية، المجوس لإبراهيم الكوني أنموذجا. دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان. ط1. 2011م.
5. بشير خلف. الجمالية المكانية في السرد القصصي لدى الكاتبة الرحالة الأدبية إيزابيل إيهاردت، قصتا (النقيب) و(تحت النير) نموذجا. منشورات الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار (السرد والصحراء). ديسمبر 2013م. أدرار. الجزائر.
6. جابر عصفور. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي. بيروت. ط3. 1992م.
7. حفيظة أحمد. بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية. منشورات مركز أوغاريت الثقافي. رام الله. فلسطين. ط1. 2007م.
8. حميدة قادوم. الصحراء قيمة سردية فاعلة في الرواية العربية المعاصرة. ضمن ندوة علمية حول الصحراء في الرواية العربية المعاصرة. جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. مايو 2024م.
9. رزيقة مقداس. الصورة. الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي. أطروحة دكتوراه في الأدب والدراسات النقدية المغربية. جامعة تيزي وزو. الجزائر. السنة الجامعية: 2021/2022م.

10. . سعد العبد الله الصويان. الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور، قراءة أنثروبولوجية. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت. ط1. 1431هـ/2010م.
11. . سعيد السريحي. أيديولوجيا الصحراء، آفاق التجديد وسؤال الهوية المعلقة. جداول للنشر والترجمة والتوزيع. لبنان. ط1. 2015م.
12. . سعيد الغانمي. ملحمة الحدود القصوى. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 2000م.
13. . السعيد بوطاجين. أعوذ بالله. منشورات ضفاف. لبنان. ط1. 2016م.
14. . شكري عزيز الماضي. أنماط الرواية العربية الجديدة. مجلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. سبتمبر 2008م.
15. . صالح ولعة. المتخيل الصحراوي في الرواية العربية. منشورات مخبر الأدب العام والمقارن. عنابة
16. . صالح ولعة. المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن. 2010م.
17. . صالح إبراهيم. الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 2003م.
18. . صلاح صالح. الرواية العربية والصحراء. منشورات وزارة الثقافة. دمشق. 1996م.
19. . عبد الصمد زايد. المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة. دار محمد علي للنشر. منوبة. تونس. ط1. 2003م.
20. . عبد العزيز المقالح. ثلاثيات نقدية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. ط1. 2000م.
21. . عليّ الوردی. الأخلاق، الضائع من الموارد الخلقية. دار الوراق. بيروت. ط1. 2007م.

22. .فاضل ثامر. المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي. دار الثقافة للنشر. سوريا. 2004م.
23. .فيصل دراج. نظرية الرواية والرواية العربية. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2002م.
24. .فيصل دراج. عبد الرحمن منيف ورواية الالتزام. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. فبراير 2012م.
25. .محمد ذنون الصائغ. ثنائية المكان، الاغتراب في الأدب الرواقصي. دار الثقافة والإعلام. الشارقة.
26. .نسيمة علوي. أساليب الحكى عند إبراهيم الكوني. دار النعمان. سطيف. الجزائر. 2016م.
27. .وردة معلم. الأسطورة والحرام في رواية عشب الليل لإبراهيم الكوني. ضمن مجلة أعمال ملتقى الأدب والأسطورة. منشورات مخبر الأدب العام والمقارن. عنابة. 2007م
28. .وردة معلم. متخيّل الفضاء في روايات إبراهيم الكوني. الوسام العربي للنشر. بيروت. ط1. 2016م.
29. .ياسين النصير. الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي. دار نينوى. دمشق. ط2. 2010م.
30. .يوري لوتمان وآخرون. جماليات المكان. عيون المقالات. باندونغ. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1988م.

ثانيا: الدوريات

31. .مجلة الفكر العربي. ع 56. 2010. بيروت
32. .مجلة البدر. جامعة بشار. الجزائر. مج3. ع8. 2011م.
33. .مجلة آفاق. اتحاد كُتّاب المغرب. ع87. سبتمبر 2014م.

34. مجلة رؤى فكرية. جامعة سوق أهراس. الجزائر. ع 4. أغسطس 2016م.
35. مجلة دراسات. يونيو 2016م.
36. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة عنابة. الجزائر. ع 13. 2017م.
37. مجلة دراسات استشراقية. ع 16. 2018م/1440هـ.
38. مجلة إضاءات نقدية. س 8. ع 29. آذار 2018م. الجامعة الإسلامية الحرة. إيران.
39. مجلة أريام الأردنية للعلوم الإنسانية والاجتماعية. عمان. الأردن. مج 1. ع 3. 2019م.
40. مجلة الخطاب. جامعة الجزائر. مج 15. ع 2. 2020م.
41. مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية. الجزائر. مج 1. ع 2. 2022م.
42. مجلة قراءات. مج 14. ع 1. 2022م. جامعة الطارف. الجزائر.
43. مجلة التعليمية. جامعة سيدي بلعباس. الجزائر. مج 13. ع 1. 2023م
44. مجلة القرطاس. الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية. مج 4. ع 24. 2024م
45. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. جامعة تمنغست. الجزائر. مج 13. ع 3. سبتمبر 2024م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

46. [/https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2018/4/29](https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2018/4/29)
47. [/https://www.independentarabia.com/node/405231](https://www.independentarabia.com/node/405231)
48. <https://www.oudnad.net/spip.php?article1788>
49. http://www.alwaraq.net/Core/news/news_inetail?id=982
50. <https://www.alfaisalmag.com/?p=987513208>
51. <https://www.nawa.ps/ar/post/19235>
52. [/https://www.omandaily.om](https://www.omandaily.om)

- .53 /https://www.aletihad.ae/article/19586/2005
- .54 <https://www.alqabas.com/article/55779>
- .55 https://www.al-jazirah.com/2018/20181126/lp6.htm
- .56 https://al-ain.com/article/desert-literature-nobel-novel
- .57 http://www.saadsowayan.info/articles/ar_desert.html
- .58 [/https://alantologia.com/blogs/79801](https://alantologia.com/blogs/79801)
- .59 /https://ida2aat.com/10-novels-about-desert-safety-savage-world
- .60 <https://www.dostor.org/3525691>
- .61 http://maaber.50megs.com/issue_march12/books_and_readings1.htm
- .62 /https://www.aletihad.ae/news
- .63 [/https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/civilisation](https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/civilisation)

